

VIURE, MORIR I NÀIXER A

# GAZA

DAVID SEGARRA



**SEMBRA**  
LLIBRES



## **EDICIÓ NO VENAL**

Traducció dels textos del llibre:

**Viure, morir i nàixer a Gaza**

(Sembra Llibres, novembre de 2014. ISBN: 978-84-942350-5-4)

© De les fotografies: David Segarra Soler, 2014

Textos de David Segarra a excepció dels que estan signats amb l'autoria corresponent.

© D'aquesta edició: Sembra Llibres, Coop. V., 2014

Apartat de correus 8

46740 Carcaixent (Ribera Alta)

sembra@sembrallibres.com

www.sembrallibres.com

Disseny de la col·lecció i maquetació: Setanta | [www.setanta.es](http://www.setanta.es)

Disseny i maquetació d'aquest llibre: Mineral Gràfics | [www.mineralgrafics.com](http://www.mineralgrafics.com)

Traducció al castellà: Roger Sarrià

Traducció a l'anglès: Adela Ortiz

Traducció a l'àrab: Tamer Hamdan i Rabah Boughenna

Cal·ligrafies: Wisam Abed

HAYAT

حياة

SABR

صبر

SHUKR

شكر

(7)

## غزة في يوم

لينة ممطرة في المتوسط لكن ليس الكل نائم.  
 شخص يرمي ألعابا نارية بجانب الميناء.  
 بعض أنحاء المدينة مظلمة بسبب انقطاع الكهرباء.  
 أم تفقد ابنها وأخرى تلتقاه في نفس الوقت تقريبا.  
 طائرات بدون طيار يراقبن من السماء. قتلى و جرحى بسبب القنابل  
 طائرات F16 و مروحية الأباتشي تبحث عن أهداف بشرية. قتلى و جرحى بسبب القنابل.  
 الدبابات تطلق النار على جنازة.  
 الجنود يهربون من الخوف.  
 مدرعة إسرائيلية تصاب.  
 المقاومة تصوب من داخل بيت مدمر.  
 تطلع الشمس في المتوسط.

كل هذا حصل اليوم في فلسطين، في غزة.  
 و الحياة مستمرة.



العربية

## نشأة كتاب (9)

هذا الكتاب لا ينبغي أن يكون موجودا. هذا الكتاب نشأ بدون قصد. كتاب صور بدون آلة تصوير أو مصوّر.

لكن كيف لا تثبت البذرة اذا تَمَرَّرَ عنها؟

كلّ من ينتمي للمُوسَط، عاش طول حياته قريبا من القضية الفلسطينية. سنة ثلث سنة كبرنا ونحن نرى صور الرّعب دون الوصول إلى أي حلّ. أول ما أذكره هو ما حصل في العام 1987 عندما كان عمري 11 سنة و شاهدت في التلفاز مجموعة من الجنود يكسثرون بالحجارة أيدي و مرفاق و أكفاح أطفال في عمري. لا تحتاج إلى خبراء، أي طفل في الـ 11 من عمره يفهم الخطأ عندما يرى رجل يوذّي طفل. بعد زمن طويل أدركت أن هذه المشاهد حدثت بسبب قرار سياسيّ بارد ليحدّد أساليب ضدّ الثائرين و كان القصد الاحتواء و السيطرة على الأعداء. أدركت أيضا أنّ من عانى من هذا العذاب ليس فقط الأطفال الذي رأيته و ليس فقط في فلسطين. أدركت أن المحتلّين دائما يعطون هذه الأشياء مع مخرج من يتحلّون. أدركت أننا عانيتنا نفس الشيء عام 1707 و عام 1939

هذا الكتاب بدأ رحلته دون قصد بعد عمليّة الرصاص المصبوب عندما هاجمت إسرائيل غزّة في العام 2009. في هذا العام تعرّفت على معنى كلمة الصمود: قدرة البقاء على قيد الحياة، عدم الاستسلام، مقاومة الشّدائد، الكفاح. هي عبارة عن فنّ التقوية و التحويل الإيجابي بعد الصعوبات و الصراعات. في فلسطين كلّ تأثير يشرح و يفهم من خلال إيمان و ثقافة قويّة جدًا. كلّ قبيل و جريح و يتيم و أرملة يجدون احتضان و رعاية من قبل المجتمع. لذلك رغم الصدمة و الحزن تجد الفرحة في الحياة و الثقة في من حولهم. الصمود إذا يمكن أن يكون المفهوم الحديث لوصف جوهر معجزه استمرار الحياة البشريّة.

هناك قصّة أرى أنها تجسد تماما معنى الصمود. أثناء القصف عام 2009، ماتت الحيوانات داخل الحديقة الصغيرة للحيوانات في غزّة، ماتت الأسود و القرد و الطيور بعضهم بسبب القصف و بعضهم بسبب الجوع. بعد انتهاء الحرب، أصاحب حديقة الحيوانات وجدوا الموت و التمار تحت الألقاض فجلس أصحاب الحديقة، أب و ابنه، ليفكرُوا. لا يستطيعون أن يأثروا بحيوانات أخرى لأن الحصار يمنعهم و داخل قطاع غزّة لا يوجد سوا كلاب و قطط و حمام و دجاج و حصن و حمير، نعم، حمير. أخذوا عدد من الحمير (في غزّة الحمار يدعى أبو صبر لأنه صبر كبير) و أتوا بصنع للشمع و قاموا برسم خطوط بيضاء و سوداء على جسمهم، بعدها قاموا بفحص شعورهم على شكل فرشاة. هكذا نشأ الحمار الوحشيّ في غزّة.

بعد افتتاح الحديقة من جديد كان الأطفال مجيئين، براءتهم جعلتهم يظنّون أنهم خارج غزّة و كانوا في السافانا الأفريقية أو في الصحراء العربيّة. يعيشون في خيالهم و في واقعهم أحرار و سعداء و في سلام. الكبار يحمون الصغار في فلسطين مثل قصّة "الحياة جميلة" للكاتب بينغني. الواقع يتغلّب دائما على الخيال. في ذلك الوقت خطر في بالي أننا بإمكاننا أن نتعلّم العديد من هذه الحمير الوحشيّة و من هذه القصّة و معناها ففّررت أن أبدأ مشروع لتصوير فيلم وثائقيّ بعنوان "ديرا من غزّة"، لعرض قصص المقاومة و الصمود في فلسطين.

في عام 2010 شاركت في أسطول الحرّيّة المكوّن من 9 قوارب بها 700 ناشط و صحفّيّ من 50 جنسيّة مختلفة و حملّة أيضا 10.000 طنّ من المساعدات الإنسانيّة. ركبت بدعم من الثلقزيون الفنزويلي و التقيت مع يهود و مسلمين و مسيحيين و أكرد و أتراك و أناس من كلّ العالم موخّدين من أجل هدف واحد. الناشطة و الصحفية لاورا أراو التي تسافر أيضا في الأسطول، تصفّه كسفيّة نوح جديدة.

هنا هو كسر الحصار البحريّ. على غزّة و إيصال مساعدات طبيّة و تعليميّة و مواد لإعادة البناء. كلّنا نعلم أننا معرّضون للخطر لكن لا نكن نتخيّل لأي حدّ. صباح الـ 31 من مايو كان الجيش الإسرائيليّ يهاجمنا بمقرّاته الخاصة و يتسولّى على القوارب متسبّيا في مقتل 10 و جرح 53 بحلّ الرصاص الحيّ. الناجون منّا كانوا يحفظونهم داخل المياه الدويّلة و يأخذونهم إلى سجن مشدّد الحراسة وسط صحراء النقب. كلّا متواجدين أمام قطاع غزّة و حوالينا عدّة قبائل بدويّة فلسطينيّة، أمر عجيب. قصّة الحمير الوحشيّة تأجّلت لأنّ الأنا يجب عرض ما جرى في أسطول الحرّيّة. بعد الحدث بسنة أخرجنا الفيلم الوثائقيّ "مرمرة تحت النيران"

بعد مرور أربع سنوات، عام 2014، انضمت إلى مجموعة ناشطين و صحفّيّين يقومون بالتّقاّع عن المزارعين الفلسطينيين من الاعترافات اليوميّة عليهم من قبل الجنود. بقيت ثلاثة أشهر في غزّة و عشت بعض الأيام تحت القصف.

هذهي أن تعرف بشكل عميق على القطاع و أن تبحث القصص لكي اكمل الفيلم الوثائقيّ "ديرا من غزّة". ذهبت دون آلة تصوير و دون حاسوب، ورافقتي كتب و دفاتر حسب لأنّي لا أريد أن أنتهي، فقط أريد التركيز في الحياة و في الواقع. لكن مانو بيندا، أحد مؤسسي لواء أناديكم، يمتلك Nikon (علامة تجارية لآلة تصوير محترفة) فطلبها منه و كانت العدة الوحيدة الصالحة هي واحدة تمكّنتني و تجبرني أن أرى الواقع من البعد. أنا لست مصوّر لكن دون قصد حصلت على أوقات الصور عن الحياة اليوميّة في غزّة. تعرّفت على أناس و عشت تجارب جميلة جدًا. و أخيرا التقيت بالآب و الابن اللذان رسما الحمير كحمير وحشيّة. بعد أيام قليلة بدأ القصف و قصّة الحمير الوحشيّة تتوقف من جديد.

أثناء رجوعي إلى باليسيا فكرت في الأشخاص الذي تركتهم خلفي في غزّة و فكرت ماذا عليّ أن أفعل. أثناء الحديث مع تشايي سارايّ نظير الفكرة: نشئي كتاب. نعم، سنقوم بفعله لنشارك الجميع بالقصص فبئها تستحقّ القراءة. فأشأنا كتاب صور بدون مصوّر كما جعلوا في غزّة حمار وحمي بدون حمير وحشيّة.

ما رأيانا و الذي نحاول أن نتعلم منه هو فنّ و قدرة تكوين الجمال و النّظام من وراء الرّعب و التّمار. في زمن انحطاط مثل زماننا يجب علينا أن نسمع و ننتدّر، لنذكّر أنفسنا أيضا فنحن في بلدنا كلّنا هكذا. استطعنا أن نقوم بعد الشّدّة، لذلك، هذا الكتاب ليس فقط عن غزّة بل عن أنفسنا أيضا. هذا الكتاب وجد ليذكّرنا أنّ أشترس معرفة ليست ضدّ العدو الخارجيّ بل ضدّ الشرّ الذي يسكن و يفسد و يحثّل أنفسنا من الداخل. أيّ تحرير خارجيّ و ماديّ دون تحرير داخليّ يتقيّن و يرفعا، فيسبّل. هذا هو الذي علّمتني فلسطين و هو ما أريد أن أشارككم إياه.

داييد سيغزّا سولير  
بيئرا. 2014

## حياة

### (18) ثلاث محاولات لدخول غزة

في العام 2009 أثناء الشتاء بعد مرور سنة من عملية الرصاص المسبوب استطعت الدخول إلى غزة. سافرت من كاراكاس فنزويلا مع زميلين: بيسينت و هو بالنسباني و بيببانا و هي فنزويلية لكنهم لم يستطيعوا الدخول رغم محاولتهم المرور عبر مسار المهزبين في سيناء. شهدت رأس السنة الجديدة في غزة والتقيت بأشخاص من كل أنحاء العالم وكثير منهم يهود. بعد 72 ساعة الحكومة المصرية التابعة لمبارك تجبرني على الخروج فالتقينا الثلاثة في القاهرة و من هناك ذهبنا إلى القدس و بيت لحم و الخليل و مخيم عاندة. هناك تعلمنا كلمة عربية: حياة. هذه الكلمة كانت اسم طفلة يتيمة صغيرة.

في العام 2010 أثناء الربيع أحاول من جديد دخول قطاع غزة مع أسطول الحرّية على متن الماي مرمرة. خرجنا من اسطنبول تركيا و معنا مئات الأشخاص من كل أنحاء العالم. القوّات الخاصة الإسرائيلية هاجمتنا في وسط البحر قبل الصّباح ممّا أسفر عن مقتل 10 أشخاص من بينهم الصحفي سيڤديت كيليسلار. لم نستطع الوصول إلى غزة بل أخذونا إلى الميناء الإسرائيلي في أسدود. من المتوسط إلى صحراء النقب. قضينا ثلاثة أيام منقطعين و معزولين في سجن بئر السبع و بعدها رحلونا و منعونا من دخول إسرائيل لمدة 10 سنوات. منعنا إذا من الرجوع إلى القدس و بيت لحم و الخليل و مخيم عاندة و كل الضفة الغربية.

بعد مرور 4 سنوات رجعت إلى القاهرة و بعد انتظار دام أسبوعين استطعت دخول القطاع من جديد و لكن كالتّي أدخله لأول مرّة. عشت 3 أشهر بين الأراض الزراعية و أشجار البرتقال و أشجار الزيتون. 3 أشهر طويلة أثناء فصل الربيع. 100 يوم و أنا أسكتشف في الحياة و الصمود الفلسطيني لأقوم بعمل فيلم وثائقي، مثل رحلتي المتابعة. و في هذه اللحظة تمت التمتة الخامسة منذ نشأة الفكرة. في الشهر الثالث بدأت إحدى أشرس الهجمات في تاريخ فلسطين. قضيت أسبوعا تحت القصف حتى عدت إلى بالنسيا للإلتقاء مع أهلي و لأكتب هذا الكتاب و لأحضر للعودة من جديد.

### (24) البحر المغلوق

خلال الأشهر الثلاث التي قضيت في قطاع غزة سمعت العديد من قصص الصيّادين الذين يتعرّضون أسبوعيا للهجمات من طرف الزوارق الحربية التي تغلق البحار. قطاع غزة عبارة عن واحة محاطة بصحراء النقب و سيناء و البحر الأبيض المتوسط من أمامها. الموانئ الفلسطينية صغيرة جدًا. السفن الأجنبية لا ترسو فيها منذ أكثر من نصف قرن و لا تخرج منها أي سفينة فلسطينية. السلطات العسكرية الإسرائيلية تفرض حذاً أقصى غير مستقرّ للمصيد و ذلك حسب المفاوضات. من الممكن تمديد الحد إلى 10 كيلومترات أو تقليصه لـ3 حسب استراتيجية المحتل. الصيّادون يشرحون لي أنّه قبل التصعيد العسكري الأخير فقط كان يقع 100 قارب من أصل 4.000 بسبب الاعتدانات اليومية. يقضون على أيضا كيف أنّ عشرات القوارب تسرق و كيف أنّ مئات الصيّادين يحطون و يسجنون. عندما كانوا يطعنوني على مقبرة القوارب أدرك أنّهم لا يحتاجون لتشريح قاتل القذائف و القنوب واضحة. كثير من القوارب لم تمت في المرة الأولى فاستطاعوا إنقاذها لتعيش أكثر من حياة. لكن رغم كل ذلك، محمد الملاكم و مراقبو البحار يعزومونا لنأكل سمك.

### (32) الأرض الجريحة

أول مكان في قطاع غزة بدأت التعرّف عليه هو زراعة و أراضيها المزروعة الممتدة في جنوب القطاع. ورائنا اليساين و الحمضيات و في منطقتنا الحبوب و مقابلات الحدود مع إسرائيل. الفلسطينيين في لواء نادايكم يأتون كل صباح أثناء وقت الحصاد. هم أناس من مالفة، لا غوايرا، مدريد، باريس، الكوي، مورو و بالنسيا. يأتون ليصبوا دروعا بشرية لأنّ عند عدم مجيهم، المزارعين يتعرّضون لإطلاق النار من القنّاصة. عادة يصيبونهم و بعض الأحيان يقتلونهم. و بعض المزارع يطلقون النار رغم وجود الفلسطينيين الدوليين مع أنّهم يرتدون لباس مميز و واضح. رغم ذلك، استراتيجية الناشطين ناجحة لأن إطلاق النار يكون في الهواء أو في الأرض و الحصاد يحمى. و لكن بعض الأحيان الرصاص يطلق على أمتار قليلة من أرجلهم. بالمناجل و الأيدي الأرض تثبت نورا مرة أخرى. لكن كل هذا سيحرف في عملية الجرف الصامد عام 2014. دورة الموت و الحياة تتجدد. بين آثار خطوات الذبابات، النساء و الرجال سيحفرون و سيزرعون من جديد لتنتب النباتات و سيبقى الثمل يجري في الأنفاق تحت الأرض.

منذ عام 1948 قلعت إسرائيل مليون شجرة تين و مليون شجرة ليمون و مليون شجرة برتقال و مليون شجرة زيتون من أراضي فلسطين. عند هذا المشهد أتذكر بساتين "لا بونتا" في بالنسيا لأنّها جرفت أيضا بالقوّة. و أتذكّر أغنية تقول: أبي، الحقل لم يعد حقل. أبي، السماء غدا ستمطر دما. الريح تغنيه و هي تكي. أبي، ها هم وصلوا. حوض لحم مع عصافير من جديد. أبي، لا، لا تخافوا، و قولوا لا، أنا انتظركم. أبي، هم يقتلون الأرض. أبي، كفوا عن البكاء فقد أعلنا للنا الحرب.

## حياة

### (36) الإحتلال

لا يعرف الكثير عن عملية الإستييطان البيطية والخفية لأراضي فلسطين. الخلافة العثمانية و الإنتداب البريطاني فرضا التعداد السكاني وصنعوا هيكله الذولة والملكية الخاصة خلال القرن الـ19 والقرن الـ20 من أجل شراء و بيع الأراضي. قبل ذلك، في المجتمع التقليدي لم تكن موجودة أي هيكله كيهذه فالصهيانية الأوروبيون استغلوا هذه القوانين الجديدة للبدء بشراء الأراضي. بحسب أن ما بين الـ80% و الـ90% من الأراضي الذي اشتروها كانت في حوزة المالكين الفلسطينيين. و المزارعون الذين يشكلون الأغلبية أجبروا على مواجهة خمس أعداء أشداء: امبراطوريين، صهيانية، نظام الحكم العربي و التلباء المحليين.

علينا أن نتذكر أن في بداية القرن الـ19 الشعب الفلسطيني كان مكون من 5% يهود و 10% مسيحيون و 85% مسلمون. الممتلكات اليهودية ازدادت من الـ1% إلى الـ3% خلال القرن الـ19 حتى وصلت الـ7% عام 1948. في القرن الـ20 الإنتداب البريطاني كان يمتلك نصف الأراضي تقريبا و النصف الثاني كان في أيدي الفلسطينيين. لكن بعد الحرب عام 1948، الذولة الإسرائيلية الجديدة احتلت الـ78% من الأراضي بالقوة و طردت أكثر من 700.000 مواطن. عام 1962 و بعد إنشاء القوانين اللازمة، استولت الذولة الصهيونية على ما بين الـ90% و الـ95% من الأراضي و أدخلوها في أول حدود لدولتهم. بقي للفلسطينيون 5% من أراضيهم فقط. عام 1967 إسرائيل احتلت غزة و الضفة الغربية فأكملت احتلال فلسطين و أتت بنصف مليون مستوطن جديد و وأسكتهم في الأراضي المحتلة الجديدة.

عام 2005 تراجع المستوطنون الإسرائيليون من غزة بسبب التكاليف الإقتصادية إضافة إلى الضغوطات من قبل المقاومة. بعد سنة واحدة بدأ أكبر و أطول حصار في التاريخ ضد القطاع الصغير.

### (38) المجتمع

في بداية القرن الـ20 الشعب الفلسطيني كان يعيش من الأرض و مع الأرض كباقي شعوب العالم و بطريقة ليس مختلفة عن القرون الماضية. ما أخفي عنا عن فلسطين و عن أرضنا هو أنه ليست كل الأراضي كانت ممتلكات الإقطاعيين و النبلاء بل معظم الأراضي كانت ممتلكات المجتمع و كانت أراضي مشاع مصطلحات مزارع و مجتمع و شعب كانت مترادفات طوال التاريخ و أيضا مصطلحات ساكن و ممتلك و بورجوازي مترادفات. لذلك معظم القرى عارضوا توميعة الحكومة المركزية المدنية بشدة الحكومة أو الملكية أو الجمهورية كانت تعني الضرائب و الخدمة العسكرية و الحروب و السيطرة. لكن بقوة السلاح و القوانين فرضت الحياة الحديثة على الحياة القروية. نظام جيزة الأراضي في فلسطين يسمى مشاعة أو مشاع قوانينها مستمدة من الأسلاف و أهدافها الحفاظ على سلامة الأرض و وحدة المجتمع و العدل في توزيع الحقول. تمنع و تتنظ بيع الأراضي و شرائها و استغلالها المكثف أو الفردي. هذه الأهداف تسعى على الإستقرار و الإستدامة مثل الحقل البنسي و مثل محكمتنا للقيام المحتلين الأتراك و البريطانيون و الإسرائيليون أعلنوا الحرب على الملكية الجماعية منذ اليوم الأول و منعوها بالمعاونة مع مجموعات النبلاء المحليين في المدن و القرى. بعد هذه الصدام مع الأقوياء نشأت المقاومة الفلسطينية من مزارعي الأرض. ما تبقى اليوم من روح الأرض هو سز مكتوم. لكن في الذاكرة الجماعية الفلسطينية و في ذاكرة شعبنا، الأرض لها أصل جماعي و مبارك. الأرض ملك للجميع و هي الأم و الأساس.

### (52) رب واحد للجميع

فلسطين أرض مقدسة لجميع الأديان السماوية. هناك يعيش منذ آلاف السنين سامريون و يهود و مسيحيون و مسلمون و دروز. أصل كل هذه الأديان هو إبراهيم و من بعده موسى و عيسى و محمد. رسل واحد تلو الآخر لتكرار رسالة سهلة: لا إله إلا الله. لا فرعون و لا قيصر و لا ملك و لا حتى الرسل أنفسهم يستطيعون أن ينافسوا الحق الوحيد، جوهر كل شيء، خالق الخلق. لكن الذات البشرية الذي أخرجت من الجنة، تنسى بسرعة. قلنا أنفسنا و ظلمنا بعضنا البعض زورا باسم الرب أو باسم الإمبراطور أو باسم الخليفة أو لأجل الإنتقام أو الإحتلال أو التقدم أو الثورات. لكن ليس هذا هو ما رأيته في فلسطين. في غزة بالذات أكثر مكان تعرّفت فيه على المسيحية التقليدية. إبراهيم فتح لي كنيسة القديس بروفيري حيث حضرت كداسا لمدة خمس ساعات ما بين الرموز و البخور و الهبات الميلادية. الأجواء كانت تذكّرني بأصل الكنائس الزيمانية القديمة. زرت مع إبراهيم المسجد العمري القديم أيضا و بداخله كان يصلي بإسمل، صديقي البدوي. هو من قص علي أن شخص سامري (السامرية) إعتقد قديم منسوب لليهودية) كان أحد الأسرى السياسيين الفلسطينيين البارزون. في هذا الكتاب توجد قصيدة شعر للقاصم، شاعر وطني درزي فلسطيني. عام 2009 و لأول مرة، تعرّفت على يهود متدينين في غزة. كانوا هناك من أجل دعم القضية الفلسطينية و ردة فعل الناس في الشارع كان احتراماً لهؤلاء الرجال الحكماء. رجال من أهل الكتاب.

الشّر ليس في الآخر و لا في الإختلاف مع الآخر بل في أنفسنا. محاولة التغلب على الظلام و السعي نحو النور هو الأساس و مسؤولية كل واحد منا و مسنولية كل جيل من الأجيال. نحن في مرحلة خسران من بعد نوح، مرورا بأدم و حواء و قابيل و هابيل في هذه المعركة الكونية لكننا لم نخسر بعد.

## حياة

### (60) هوية ومقاومة

بعد انتصار المحتل، أول ما يحاول فعله هو حذف التاريخ. الهوية هي الجذع الزوْحاني للشعوب وبصمتهم في العالم. داخل إسرائيل يعيش مليون ونصف مليون فلسطيني مجبرين على التعلّم من المناهج الصهيونية. دراسة عن مؤسسة الثقافة العربية وجدت في تلك المناهج المفروضة عليهم و المترجمة للعربية 16.225 خطأ. ليست مجردة صدف. في نفس الوقت، السياسيون يناقشون تقليص التعليم باللّغة العربية. اللّغة العبرية هي السائدة في كل مكان. الطلاب الفلسطينيون يمعنون من تعلّم هويتهم وتاريخهم في محاولة لفصلهم عن إخوانهم في غزّة والصنّف. يعلّمونهم أنّه لا يوجد شيء اسمه فلسطين أو فلسطينيون و لم يكونوا موجودين و لن يوجدوا أبداً. يسوّغونهم عرب إسرائيل و إذا تكلموا اللّغة العربية تعرّضون للشبهة و الإعتقال و العزّ. لكن التكلّم باللّغة العربية هو النطق بلغة الأسياد و الأقوياء و المنتصرين. مئات القرى حذفت من الخارطة و استبدلت أسمائها العربية بأسماء عبرية. حتى المدير الإعلاني في شركة القطار العامة يمنع أن يسمع اسم المحطات باللّغة العربية. يقول أنّه يكفي استعمال اللّغة العبرية و الإنجليزية لأنّ إضافة اللّغة العربية ستكون "الإزعاج في الرّحلة".

منذ 67 سنة يرى الطلاب اليهود أنّين يأتون من كلّ أنحاء العالم على كره العرب. دراسة في جامعة عبرية في القدس حلّلت مئات الكتب التعليمية و لم تجد أيّ صورة تظهر العرب "كأشخاص عاديين". هذا ما يكرّره سائر المحتلين. و بالتأكيد تبلغ تاريخ النكبة الفلسطينية فعل ملاحق. الكبار يموتون و الصغار ينسون. هذا ما يكرّره سائر المحتلين.

لا ينبغي أن نستغرب من كلّ هذا فانا لم نعلم شيئاً عن تاريخي الحقيقيّ حتى بلغت 18 عاماً. عندها بدأت أعرّف ما هي مملكة أراغون و مملكة بالنسيا الإسلامية و المسيحية، من هو بايبيسمتا بانينيت، من هم الموالى (من دعوا الأرشيدوق كارلوس في اسبانيا) و من هم البوتيفليون (من دعوا ملوك البربون في اسبانيا)، حرق شاطبية عام 1707، الإعتداء على برشلونة عام 1714 و كيف منعوا تقاليدنا و قوانيننا و كيف منعوا لغتنا لمدّة 3 قرون. بدأت أقرأ و أكتب لغتي عندما كبرت و استطعت تعلّمها بفضل من حافظوا عليها لمدّة هذه الـ3 قرون في المزارع و القرى و بفضل العائلات و الكتب التي أوصلت لنا جوهر تاريخنا.

### (64) الميكانيكي في شارع عمر المختار

أفضل طريقة للتجوّل في غزّة هي استخدام دراجة نارية. معظم الناس لم يوافقوني الرأي و يقولون لي أنّه جنون لكنّ الدراجة النارية تصرف القليل من الوقود و هي سريعة للتقلّب في أرض مستوية و الذي تبلغ طولها 45 كيلومتر. فاشترت دايون 40 و هي دراجة نارية من الصين و وصلت إلى غزّة عن طريق الاتفاق لكن بالطبع جودتها ليست جيدة.

بعد بضعة أيّام، خطب القاضي تعطلّ فيينا أنا و صديق لي منقطعين في وسط المدينة، سألنا بعض الشباب و دلّونا على ميكانيكي في شارع عمر المختار. هناك استقبلنا أبو حسن في ورشة صغيرة مظلمة و مليئة بالصناديق و الأدوات. ترك أبو حسن شغلّه و بدأ يصلح دراجتنا في الشارع و هو يتكلّم مع صديقي الذي هو تونسي فرنسي. أين العالم؟ أين المسلمین؟ يسأله أبو حسن. لماذا نسوا فلسطين؟

بعد دقائق قليلة كان قد أكمل التصليح و أخذ ممّا 10 شواكل، ما يعادل 2 يورو.

رجعت إليه مرتين أخرى لتغيير الزيت و تصليح الدواليب الخلفي المتقوّب لكنّ هذه المرّة لم يأخذ ممّي الأجرة. أصرت عليه مخجلاً لكه لم يرضى. حاولت مرة أخرى حتّى أخرج من جيبه محفظة جلدية قديمة و قال لي و هو يمسكها في يده: لا تقلق، إذا حصل معك مشكلة مع القوّد بإمكانك أن تأتي و سأساعدك. هو الذي يعرض عليّ مساعدته بينما هو محاصر في غزّة و بفرص قليلة.

رجعت من هناك أنظر إلى الأرض و إلى السماء. ودّعته من فوق الدراجة النارية. ماذا أستطيع أن أقول؟ رجعت و أنا أفكر: سنلتقي مرّة أخرى.

### (72) القطّ الذي كان مكتوب له الموت

رأى الهاتف في البيت الذي أسكن فيه قرب الميناء. الظاهر أنّه طائرة بدون طيار قصفت مكان ما. ذهبت إلى مستشفى الشفاء مشياً على أرجلنا لتعرف إذا سقط هناك جرحى أو قتلى. عند وصولنا بدأت الشجارات للحصول على معلومات من الأطباء و لكن في الأخير تبين أنّ الخبر ليس صحيحاً.

بعض الزملاء ذهبوا ليبحثوا و آخريين كانوا يحاولون الحصول على كأس من القهوة من آلة القهوة القديمة. سمعنا صوت قفّة و وجدنا على الأرض قفّة لونها برتقالي فزلت لأدائها و شاهدت برعب أنّ أحد أرجلها كانت مكسورة. لا تستطيع المشي بل تزحف زحفاً و الجميع اندهش أمام هذا المشهد. ربّما دهستها سيّارة. سألنا الأطباء إذا كان من الممكن علاجها و قالوا لنا أنّهم بصعوبة يعالجون البشر. سألناهم إذا كان من الممكن قتلها لتزبيحها على الأقل لأنّها لن تستطيع العيش و ستموت من الجوع فقالوا لنا أنّ الظيل من ما عندهم هو للبشر. في نفس الوقت اقترب ممّا شاب فضوليّ بلباسه و برجل مبتورة فقال لنا أنّ بيته تعرّض لتصف مروحّة الإيباشي قبل سنة و قتلت أخاه لكنّ هو بقي على قيد الحياة. بينما الشاب المتبسم يتكلّم معاً أخذ أحد القطّ و وضعه في صندوق بدأ يلعب معه.

في طريق الرجعة مشيناً ببطء و سكوت لكنّ لم نرجع إلى البيت بل مشيناً إلى الميناء عن طريق شطّ البحر و وصلنا إلى أبيد نقطة من فوق الأحجار. البحر و السماء سوداوان و لا يلحم في السماء أيّ نجمة.

الشابّ داعب القطّ بكلّ حنانه و بعد لحظة طويلة، القطّ البرى أصبح جزءاً من البحر إلى الأبد.

في اليوم التالي، ظهرت في الشارع عدّة قطط بنفس اللون البرتقالي فأولاد أصحاب البقالة وضعوا لهم ماء للشرب.

قبل سنين عديدة في مدينة بابل الرثة بني برج ضخم، كان يمتلئ غرور قوة وعلم الانسان ضد الطبيعة والرب. في ذلك الزمان اليهود كانوا قوما رحالة و بدون املك فأراد هذا البرج كعلامة غطرسة الحضارة الجديدة وسفوه بابل.

إسرائيل المعاصرة تبين وجهها للفلسطينيين في قطاع غزة من خلال الحدود المغلقة. في الشمال، أمام بيت لاهيا، تقف محطة طاقة روتنبرغ الذي تحول الفحم إلى كهرباء. من خلف بيت لاهيا توجد مدينة عسقلان. عام 1948 كان يسكن في هذه المدينة الكنعانية القديمة 11.000 مواطن فلسطيني بين مسلمين ومسيحيين. بعد وصول الجيوش الإسرائيلية، فرض حصار على المدينة حتى اتمام ترحيل سكانها إلى غزة. لغزرات الستين أصبحت هذه المدينة موقع سكن لليهود المهاجرين من كل العالم وحول اسم المدينة إلى أشكلون. اليوم تعتبر أحد أكثر المدن تلوثاً للبيئة في أحد أكثر البلدان تلوثاً في العالم.

في الشرق، أمام حقول الحبوب الكبيرة، تمتد أسوار السيطرة التي تحتوي على أبراج مراقبة بنظام تحكم عن بعد كل بضعة أمتار. الكاميرات وأجهزة الاستشعار الحركة تمكنهم من تصويب الرشاشات إلى الأهداف البشرية. تمر المراكب المصحفة والمراكب العسكرية والشاحنات بشكل يومي من فوق الحقول الفلسطينية لفصل العشب، أي لمنع نمو أي نبتة أو شجرة. يبرزون أفعالهم بأنهم من أجل الامان لأن الفلسطينيين بإمكانهم الإخفاء بين الأشجار. يضع أمتار خلف الأسوار يستخدمون الطائرات الزراعية لرش الحقول الضخمة بالمبيدات الحشرية.

تستخدم كل الأنواع من المركبات الروبوتية في البر والبحر والجو لمراقبة الشعب المحلي. لكن التاريخ علمنا أن برج بابل يقع.

## فرق تسد (88)

فرق لكي تحكم. المحتلون يعلمون أن الطريقة الأكثر فعالية للتحكم بمن احتلوا وتقليص قوتهم هي تفريقهم وزرع الفتنة بينهم. هذه السياسة تنسب للمندوبين لكن الرومان هم من قاموا بممارستها في كل المتوسط الفرنسيون والبريطانيون والاسبان كانوا معلمين في التفريق. كثير من الحروب الحالية بين الاقوام الانشاء في افريقيا و اسيا سببها الاختلالات المولدة من قبل الإمبراطوريات البريطانية والفرنسية.

إحتلال وتقسيم و ابيادة مئات الاقوام الاصليّة في أمريكا اللاتينية هي جدارة مملكة كاستييا كما هي المنسبة في تحطّم الأندلس ومملكة أراغون أيضا.

فلسطين اليوم مشتمة إلى عدة أقسام. هناك دولة إسرائيل حيث يعيش مليون ونصف مليون فلسطيني. هناك القدس الذي يوجد فيها 300.000 شخص صابر. هناك الضفة الغربية الذي يعيش فيها مليونين ونصف مليون فلسطيني. هناك غزة التي تحتوي على مليونين فلسطيني تقريبا. وهناك سكان الشتات والذي يبلغ عددهم ثمانية ملايين فلسطيني تقريبا. موزعين بشكل رئيسي بين الأردن ولبنان وسورية وتيلي.

الفلسطينيون يبلغ عددهم الإجمالي بين 11 و 14 مليون نسمة حسب الإحصائيات. دولة إسرائيل أنستت شبكة قانونية لمراقبة وتفتيت وتفريق الفلسطينيين. كل الفلسطينيين في الخارج لا يستطيعون زيارة إسرائيل ولا العيش فيها ولا يستطيعون حتى زيارة الضفة الغربية ولا القدس ولا قطاع غزة. سكان القطاع لا يستطيعون زيارة الضفة الغربية ولا القدس وسكان الضفة الغربية لا يستطيعون زيارة القطاع. فلا يستطيعون الزواج من بعضهم ولا التعلّم والعمل مع بعضهم. مثلاً إذا أراد فلسطيني من القدس الزواج بفتاة من بيت لحم سيقتد حقّه في العيش أو الرجوع إلى مدينته. عائلات وأراضي وقرى وحكايات وأحباب مفترقين بأسوار وجنود. الحكومة الإسرائيلية تفرض خمس هويات هرمية مختلفة في تمييز العنصري. من الأعلى إلى الأسفل هم: يهود إسرائيليين ثم فلسطينيو إسرائيل ثم فلسطينيو القدس ثم فلسطينيو الضفة الغربية ثم فلسطينيو قطاع غزة. كل ما كنت في درجة أسفل، كل ما ازدادت القيود و قلت الحقوق.

لا نستطيع أن نعرف المستقبل، لكن عندنا اليقين بأن الفلسطينيين ما زالوا فلسطينيين رغم كل العتبات.

## الأم (94)

كل يوم اثنين، يجتمع اقرباء الأسرى الشيبانيين وأسرى الحرب أمام مبنى الصليب الأحمر الدولي. أمهات ونساء وآباء وأشقاء وأصدقاء و ناشطون يخوضون اضطراب طعام تضامنا مع الأسرى. وجه امرأة يشد انتباهي فصورتها فإبشمت لي وسلمت عليها بأدب. بعد أشهر من هذا المشهد عرفت قصتها. عائلة رحاب كنعان هربت من فلسطين وهي ولدت في مخيم الزعتري في لبنان. تزوجت في عمر باكر وانتقلت إلى حقل صبرا وشاتيلا. هذه الحقول تعرضت إلى أشيع المذابح في تاريخ فلسطين أثناء الحرب الأهلية اللبنانية. ما بين 2.000 و 6.000 مدنيّ أبيضوا من قبل الكتائب اللبنانية بدعم من القوات الإسرائيلية الموجهة بإيدي أرييل شارون. مئات الأطفال قتلوا وكثير من النساء اغصبن وقتلن. ما وجد من قبل الصحفيين والدبلوماسيين من تشويهاات وأحوال فضيحة لدرجة أنه لا يستطيع أن يكتب إنسان عنها.

54 شخص من عائلتها قتلوا، من بينهم زوجها، وابنتها ضاعت. رحاب تزوجت من جديد وسافرت إلى تونس حيث أصبحت شاعرة مهمّة. عام 1995 رجعت إلى غزة وبعد خمس سنوات أحد الأشخاص الناجين من لبنان أخبرها أن ابنتها ما زالت على قيد الحياة. بعد بضعة أشهر وصلتها مكالمة: "أمي، أنا ميمنة". لم تمت بل بقيت على قيد الحياة وترتبت مع جيرانها. في نفس العام، عام 2000، المقاومة اللبنانية طردت الجيش الصهيوني والكتائب اللبنانية فالأم والبنات اتفقت أن يلتقين على الحدود. ميمنة انتظرت والنتها يوم تلو يوم وهي تشاهد كيف كانت العائلات تلتقي بعد فراق دام نصف قرن لكن والنتها لم تظهر. رحاب لم تستطع الوصول لأن السلطات لم تمنحها التصريح. اضطرون للانتظار عامين آخرين حتى علم بقصتهن صحافي من غزة واستطاع أن ينظم لهما لقاء في قناة تلفزيونية بالإمارات العربية المتحدة. فأخبرا وبعد فراق دام 24 سنة، أم وابنتها استطاعتا الرجوع إلى بعض ميمنة قالت: "الآن أمنت بالمعجزات والأمل. أخيرا وجدت حبّ أمي".

لكن الإحتلال مستمرّ والأم وابنتها ما زالتا متفرقتان، واحدة في غزة والأخرى في بيروت واستطاعتا اللقاء مرة أخرى فقط.

مع مرور الأيام في غزّة استطعت كسب بعض الأصدقاء، معظمهم صحفيين وفنّانين. تعرّفت على أصدقائهم في جبالا و البريج و رفح أيضا. كثير منهم يبلغون حوالي 40 عاما. بينما كُنّا نتكلّم بإرتياح، أشاروا إلى واحد منهم: " قضى 20 عاما في الأسر" ربما يكون أكبر مني بسنتين أو ثلاث. "هذا أسر 17 عاما"، "ذاك أسر 5 أعوام"، "و أنا 4" يقول لي صديقي. نظرت إليهم مرّة أخرى واحدا واحدا. لا أحد يستطيع أن يتخيّل كل ما مرّوا به لكن هناك أمر واضح: لم يستطيعوا هزيمتهم، لم يستطيعوا كسر إرادتهم.

منذ الإحتلال الثّام لفلسطين عام 1967 بحسب أنّ 800.000 فلسطيني تمّ اعتقالهم أو أسره. حاليا يوجد أكثر من 5.000 فلسطيني في سجون دولة إسرائيل. يوجد فيهم أسرى حرب، المقاومين. يوجد فيهم أسرى سياسيون، نشطاء و صحفيون و مفكّرون من أجل إعتقاداتهم. يوجد فيهم أسرى من دون تهم و هم الأسرى الإداريون الذي يبلغ عددهم 200 أسير يقال أنّهم يشكّلون خطر محتمل. و يوجد فيهم 200 أسير تحت السنّ القانوني أيضا. 1.000 طفل يحاكمون سنويا من قبل محاكم عسكريّة. أسروا حتى المئات من المدافعين عن حقوق الإنسان و أعضاء البرلمان. إسرائيل من الدّول القليلة التي تشرّع التعذيب لكنهم يصفونه كـ "ضغط جسديّ محكم". حوالي 100 فلسطيني ماتوا تحت التعذيب و الآف يعانون من الخلل النفسي. هذا هو الهدف الحقيقي. اللجنة الشعبية ضدّ التعذيب في إسرائيل نشرت عام 2014 تقريرا يوضّح أنّ 74% من الأطفال الفلسطينيين المعتقلين تعرّضوا لعنف جسديّ من الحراس الإسرائيليّين. كثير من هؤلاء الأطفال مضعوا في أفضاص و بعضهم تعرّض للعنف الجنسيّ. التعذيب و العنف لا يستخدم للحصول على معلومات بل الهدف الحقيقيّ منه هي ممارسة السيطرة: الفلسطينيون يجب أن يفهموا أنّ هناك سيد و عبد و السيّد هو الوحيد الذي يستطيع أن يعاقبه. هذا يعرفه كلّ الفلسطينيّين، لا توجد عائلة فلسطينيّة دون شهيد أو أسير. عندما نزرر بيت أحد الأسرى المحرّزين نلقى دائما لاقطة بصورته و اسمه بشكل واضح في واجهة البيت. هم فخر العائلة و فخر الحيّ و فخر المجتمع. الأسرى هم المثال. الأبطال. الصّابرون.

## (104) قتل الجمال

قضيت أيام قليلة تحت القصف. كنت بجوار الميناء و قريب من المباني الحكوميّة التي تعصف كلّ ليلة. شاهدت أنّ النّاس في بداية القصف لم يهربوا و لم يستعجلوا في مشيهم. لماذا؟ لأنّه لا يوجد أيّ مكان للفرار إليه. في غزّة لا يوجد ملجأ. سمعت أنّ بعض العائلات كانوا ينامون في نفس الغرفة ليموتوا سويا إذا وقعت المصيبة عليهم. في مستشفى الشفاء رأيت أباء يحملون في أيديهم أولادهم الممرّقين، رأيت طفلات في قفّة الجمال نامات بنشاطا في رؤوسهن و رأيت شباب بدون أرجل، مغمى عليهم، دون أن يعلموا ما حصل لهم.

عام 2014 و خلال خمسين يوما، البيات الحرب الإسرائيليّة قصفت من الجوّ و البرّ و البحر 200 مدرسة، 70 حضنة و 4 جامعات و 7 مدارس/ملاجئ تابعت وكالة العوث تعرّضت لهجمات تسيّبت في مقتل و جرح مئات المدنيّين. عدد الأطفال القتلى تجاوز 500. بحسب أنّ 3.000 شخص أصبح مشوّه أو معاق. ماذا كان يفكر من أطلق قذيفة المدفعية الأولى على 4 أطفال كانوا يلعبون بالكرة في شاطئ غزّة؟ كيف اتّخذ قرار تصحيح المسار و إطلاق القذيفة الثّانية التي قتلتهم جميعا؟

حسب عدّة تقارير من مؤسسات دوليّة و مؤسسات حقوق الإنسان، الضّحايا المدنيّين شكّلوا 75% من القتلى. 70 مسجدا دمر بشكل كامل. 200 مسجد آخر تعرّض لأضرار بالغة.

للكثير من الفلسطينيّين تعتبر هذه أماكن مقدّسة، أماكن سلام و صلاة و ملجأ للزّوج. المسجد العمريّ في جبالا كان أحد المساجد الذي دمر و الذي يبلغ عمره 1365 عاما.

القبور القديمة التابعة للكنيسة تعرّضت لأضرار أيضا. حيوانات حديقة الحيوانات قتلوا مرّة أخرى.

آخر مشهد أتذكّره هو طريق الرّجعة في السّيارة عبر شارع صلاح التّين، بين حفر و بوبت مضمّرة و عمدان النّخان المتصاعد. مررت من كلّ القطاع من مدينة غزّة في الشّمال إلى معبر رفح في الجنوب. من خلال نافذة السّيارة كنت أشاهد كيف كان المزارعون ينقلون الخضروات في عرباتهم البيّنة، كيف كان البائعون ينتظرون المشتريين و هم جالسون أمام أبواب محلاتهم و كيف كانوا المنطفون يكسون الشوارع و يزيلون الأوساخ. الحرب كانت بادئة لكنّ النّاس كانت تأتي أن توقف حياتها. ربما هذا هو الجمال.

## (116) قتل الحق

كنت في مكتب صديقي الصحفيّ الوثائقيّ علاء عندما فاجأنيّ الحرب. كنت أصمّل في حاسوبه المحمول لمعالجة الصور التي التقطتها مع آلة تصوير مانيو. استطعت أن أرى كيف كانت تتساقط أول ذنائب الحرب و تتصاعد أعمدة الدخان الأسود من خلال النّافذة فصوّرت المشهد. ذلك كان آخر يوم استعمل فيه الدّراجة النّارية. في ذلك المكتب ذاته أخذت بين يديّ آلة تصوير فيديو التي صاحبتني من كان يصوّر بها حتى الموت (خالد حمد) بعد أيام قليلة. لكنّ أوّل ضحية من الصحفيّين كان حامد شهاب، سائق فريق تلفزيون و الذي استهدف بصاروخ أمام باب أحد المباني التابعة للصحافة. في نفس المبني كان يعمل مصعب و إسرايل دون راحة. فلسطينيّة و أراغونيسيّة (إسبانيّة) فعلاوا كلّ ما بوسعهم لنقل ما كان يحصل في غزّة.

خلال الدّو يوم، إسرائيل قتلت 17 صحفيّ. حسب تقرير لمركز غزّة لحرية الإعلام قصف 12 مكتب إعلامي و 11 بيت صحفيّ. النّاطقة باسم الجيش الإسرائيليّ كتبت رسالة لجريدة نيو يورك تايمز تقول فيها على أنّ الضّحايا هم "إرهابيون مع كاميرات و دقّاتر" و بالذات أهداف مشروعة. أتوقّع أنّهم كانوا بنفس التّفكير صباح يوم 31 مايو عام 2010 عندما اعتدوا على المايبي مرمرة في المياه الدوليّة. الجنود الإسرائيليّون قتلوا سيدفيت كيليسلار و هو يحمل آلة تصوير الفيديو في يديه. وضعوا الرّصاص بين عينيّهم بعد بضعة أمتار قليلة. في إسطنبول، بنته قالت لنا أنّ والدها كان يعلّمها لتصبح صحفية.

## صبر

### (122) أشرة و رباح

قبل آلاف السنين هوميروس كتب "أوديسة أوليسيس" و هي عبارة عن قصيدة تنقله في سفر على متن باخرة حول المتوسط للرجوع إلى بيته، إلى بنيلوبي و تيليماك و للرجوع إلى إيتاكا.

بين عام 1492 و عام 1502 ملوك الكاثوليك أمروا بطرد كل المسلمين و اليهود الإيبيريين أو تغيير دينهم. بعد قرن من الزمان يؤمر بترحيل كل من تبقى منهم. عام 1609 ألوفات العائلات الياثمة أبحرت من موانئ بيناروس و مونكوبا و بالنسيا و دينية و ألكانتى للوصول إلى تونس و الجزائر و تركيا. مسلمون و يهود و برابرة و سفارديين استقبلوا حسن الإستقبال في الأراضي الإسلامية.

عام 1929 آلاف من اللآجئين الجمهوريين تجتمعوا أمام ميناء ألكانتى خوفا من هجوم أتباع فرانكو. قبطان باخرة ستانبروك البريطانية أشفق عليهم فحملهم و هرب من الحصار الفاشي و أنقذهم من موت محقق و قادهم إلى الجزائر.

عام 1947 آلاف اليهود الناجين من المحرقة رحلوا بمحربين بعد أن عاملتهم الحكومات الأوروبية كمن يحمل الوباء. من ميناء آخر وصلوا في آخر المطاف إلى فلسطين. لكن عندما وصلوا هاجمت القوات البريطانية القارب و بعد معركة قاسية مات 3 أشخاص.

عام 2010 اجتمع في إسطنبول أسطول دولي مكون من نشطاء من 50 جنسية مختلفة. متوجهين إلى قطاع غزة لكسر الحصار و معهم 10.000 طن من المساعدات. القوات الإسرائيلية تعدت على الـ6 قوارب.

عام 2014 بني "فلك غزة"، قارب بنيت كسر الحصار من الداخل محمل ببضائع فلسطينية للعالم الخارجي. صاروخ موجه يصيبه في أحد أول أيام الحرب فأصبح منفجما.

كالمعتاد، قوارب جديدة و أوديسيات جديدة ستبقى تطلع من موانئ المتوسط.

### (132) و من أحيائها فكأنما أحياء الناس جميعا

مكتوب في الكتب المقدسة عند المسلمين و اليهود، في التوراة و القرآن. من يقتل نفس بريئة فكأنه قتل البشرية بكاملها، و من أحيائها فكأنما أحياء البشرية جميعا. الإنجيل يوثق ذلك.

أثناء العملية العسكرية ضد غزة عام 2014 أجريت عدة استطلاعات في إسرائيل و الأرقام كانت مخيفة. بين 80% إلى 90% من الشعب كانوا يدعمون العملية العسكرية ضد غزة. رغم هذه الأرقام يجب التسائل: من هي هذه الأقلية التي تعترض على الحرب؟ و يجب التسائل أيضا: ماذا يقولون اليهود في العالم؟ الدولة الصهيونية تقول أنها تمثلهم، هل هذا صحيح؟

تعرفت على هدي إبيستين في القاهرة، عوزة ألمانية يهودية جليلة. أهلها ماتوا في المحرقة تتذكر كيف رأت من نافذة بيتها أول موكب من القوات النازية. كانوا يرتدون الأزياء و الأحذية العسكرية. عندما زارت إسرائيل رأت الأزياء و الأحذية العسكرية و حلفت أنها لن تكون من هؤلاء الناس. حينئذ قررت أن تقضي بقية عمرها في مساعدة الملاحين في أيلمانا: الفلسطينيين.

في ستوكهولم التقيت مع دور فالبير، من أصل ألماني و يهودي أيضا. أهلها استطاعوا الفرار من النازيين و وصلوا إلى فلسطين. قصص علي كيف كانوا يخبثون في بيتهم الفلسطينيين الهاربين من القوات الإسرائيلية الجديدة. اليوم أصبح أحد المنظمين لأساطيل الحرية.

تعرفت على روني كاسرليس من خلال وسائل الإعلام. يهودي من أفريقيا الجنوبية التحق بحركة نيلسون مانديلا. واجه نظام التمييز العنصري بمنصب رئيس جواسيس الثورة و في وقتها اكتشف أن عدوه كان له صديقا وفي: الموساد و الدولة الإسرائيلية. لذلك ديسموند توتو، مانديلا و هو بذاته أصبحوا رموزا للتضامن مع فلسطين.

أمير غولدمان في ابنة أحد رؤساء الموساد السابقين. منذ طفولتها تربت في قلب الثورة و عندما زارت الأراضي المحتلة تحققت بنفسها من كل ما خبئوا عنها. اليوم هي أحد المتحدثين باسم الشمنستيم، الطلبة العصاة الذين يفضلون السجن على الانضمام إلى الجيش.

تحطم اللحم الصهيوني يضح مع كلمات الحاخام رون أيجن من مونت ريال: "إسرائيل كانت لعدة سنوات العامل الموحد لليهود لكن اليوم أصبحت عامل تقري و مواجهة بين المجتمعات اليهودية".

## 136) القديس جوردي، الشهيد الفلسطيني

القديس جوردي كان ابن جندي روماني و فلسطيني من اللد. إبتداءً بأبيه إلتحق بالجيش. كان وقت التمرّد المسيحي ضدّ الإمبراطورية جوردي أمر بملاحقة المتمرّدين فرفض لأنّ في السرّ كان من المتمرّدين الذين يرفضون تأليه الإمبراطور و الذلّة الرّومانيّة. لذلك السّبب حكم عليه بالإعدام و أعدم.

وعندما وصل الصليبيّون إلى فلسطين عام 1098 فتاجوا من المسلمين في اللد لأنّهم كانوا يحتفظون بإحترامهم للقديس جوردي الذي كانوا يسمّونه الخضر. في تلك الأيّام القديس جوردي كان يحترم من المسلمون و المسيحيّون. بعد الرّجوع من الحروب الصليبيّة، قصّة القديس جوردي وصلت إلى أوروبا و انتشر تقدّمه بسرعة إلى نابوليس، أراغون، كاتالونيا، الكوي و بايبورتا و صرار راعي إنجلترا و البرتغال و اليونان و روسيا و أثيوبيا و دول أخرى أيضاً.

عام 1948 كان عدد سكان اللد 20.000 نسمة. 18.500 كانوا مسلمين و 1.500 مسيحيّون تقريباً. في ذلك العام وصل إلى المجموعات المسلّحة الصهيونيّة أمر من إسحاق رابين: "يجب طرد سكان اللد". قتل أثناء الطرد 400 شخص و كثير من النساء اغتصبن. السكان تمّ ترحيلهم و تسميمهم. أتوا بـ1.800 شاحنة لنقل كلّ ما تمّ نهبه من البيوت الفلسطينيّة. المؤرخ الإسرائيليّ بيني موريس وثّق كلّ و أكد هذه المعلومات مؤسس الذلّة الصهيونيّة دافيد بن غوريون في مذكراته للحرب.

عام 2014 أثناء الرّبيع، وجدت رمز القديس جوردي في الكنيسة الأورثوذكسيّة في غزّة. نضال الشهيد الفلسطيني ما زال با.

## 140) غزّة و جالوت

التقاليد اليهوديّة و المسيحيّة و الإسلاميّة تعرف قصّة المقاتل جالوت و الفلاح داود. الجيش الفيلسّتيّ و الجيش اليهوديّ التقوا في واد البطم. إخوة داود كانوا أعضاء في جيش اليهود و هو بعضيّ الأيّام في رعي الغنم و إحضار الطّعام. جالوت الذي كان أقوى الجنود، تحدّى الأعداء للقتال معه بتجنّب المعركة دون مذبحّة. الجميع كانوا يهابون منه لكنّ داود قدّم نفسه للقتال. الملك طالوت قال له: "جالوت مقاتل طوال عمره و أنت شاب صغير" داود ردّ عليه قائلاً: "كنت أراعي غنم أبي طوال حياتي. عندما كان يأتي أسد أو دبّ و يهاجموا كنت أقتلهم و أنقذ الغنم" طالوت وافق و أعطاه سيفه و درعه لكنّ داود رفض لأنّه كانوا كباراً و ثقلاً عليه. إنقطع خمسة أحجار من النّهر و خبّتها في جيبه و اقترب من العلال بمقلاع في يده. جالوت غضب عندما رأى أن من تقدّم للقتال شاب صغير و اعتبر ذلك إهانة فقال له: "اقترب و سأعطي لحمك للطيور المتوحّشة و الوحوش". جالوت بدأ بالاقتراب فشبنا فشبنا فأخذ داود حجراً و وضعه في المقلاع و بضربة واحدة هزم جالوت.

عام 2014 أحد أقوى جيوش العالم تهاجم إحدى أفقر و أعزل المناطق في العالم. الأقمار الصنّاعيّة و الطلّارات بدون طيار و الطلّارات الحربيّة و الطلّارات المروحيّة و الصّواريخ و المدمّرات الحربيّة و الغوّاصات و المدفعية و المدرعات و الدبّابات المحمّلة بأحدث التّقنيات تهاجم القطاع الصّغير بصلاحيّة عشرات الآلاف من جنود القوّات الخاصّة يحاصرون المكان من كلّ الحدود. في الأنفاق تحت الأرض، عشرات أفراد المقاومة براجمات الصواريخ و الرشاشات ينظّمون النّفاذ. شتاوا و هم يستخدمون المقلاع و لا يهابون الموت.

## 154) طائر العنقاء الجريح

مدينة غزّة من أقدم مدن العالم. أصلها يرجع إلى 4.000 سنة على الأقلّ. عاش فيها الكنعانيّون و المصريّون و الفيلسّتيّون و بنو إسرائيل و الفرس و اليونانيّون و الرّوم و اليهود و المسيحيّون و البيزنطيّون و العرب و المسلمون و الصليبيّون و العثمانيّون و البريطانيّون و الإسرائيليّون. غزّة احتلّت و فتحت مرّات لا تحصى. ربّما لذلك السّبب طائر العنقاء رمزها. الشّاعر الرّومانيّ أوبيدي يقول أنّ هذا الطائر الأسطوريّ عندما يصل إلى نهاية حياته الطويلة يعمل عنّ بعيدان القرقة و يحرق العنّ و هو بداخله حتّى يتحوّل إلى رماد. و من هذا الرّماد سيولد من جديد. المسيحيّون القديما يعتبرون هذه الأسطورة و الذي أصلها يرجع إلى اليونان و الفراعنة رمزاً للتّجديد و الإحياء. العرب يسمّون هذا الطائر العنقاء.

قطاع غزّة جرحت مرّات عديدة. ربّما لذلك سكّانه طوّروا ما يسّعى في علم النفس بالصّمود و هو عبارة عن قدرة مواجهة المحن و تحلّل الصّدمة و ما هو أهمّ، قدرة التّفوّي و التّفانم بإيجابيّة من وراء الألم. كيف لا يفعون في الحقد و الإنقام و اليأس من بعد كلّ هذه الأهوال؟ اكتشف بيكتور فرانكل ( عالم النفس اليهوديّ النّاجي من أوسويتش) في معسكرات الإعتقال أنّ أولادك الذين يجدون معنى لمعاناتهم هم الوحيدون الذين كانوا يتحمّلونه و يتعلّمون منه. حسام النونو (عضو برنامج غزّة للصحة النفسيّة) شرح لي في مكتبه أمام البحر أنّ صمود الشعب الفلسطينيّ له نقطتان مركزيّتان. أول نقطة هي الهيكلّة العائليّة و الاجتماعيّة التقليديّة التي تكوّن شبكة تعاون بين كلّ الأفراد الصّغار و الكبار فلا أحد يبقى وحده أبداً. النّقطة الثّانية هي أنّهم لم يزلوا يحتفظون بالإعتقادات و التقاليد اللّذان يميّزهم المعنى في الحياة و يجعلونهم جاهزين لكلّ احتمالات هذه الحياة. في الأوقات السّعيدة يشكروا و في الأوقات الصّعبة يصبروا.

البشرية نشأت من آدم و حواء حسب اعتقادنا. كنا يعيشان في الجنة بسلام و طمأنينة لكن في يوم من الأيام، الشرّ جذبهم لعصيان الربّ. أكلوا من فاكهة شجرة العلم و تعلموا أنّه يوجد الخير و الشرّ و أنّ كلّ عنصر من عناصر الخلق يمكن رؤيته كجزء من وحدة و كعناصر منفصلة. بعدها استشعروا إحساس الخجل و الخوف لأوّل مرّة. هكذا حصلوا على الحزينة لفعل الخير أو الشرّ لكن تستبوا لأنفسهم بالطرّد. هذا هو الذنب الأصليّ فعاقبهم الربّ و ذرّبهم أن يعانوا بالثم و العرق. في الاعتقاد الإسلاميّ هناك اختلاف بسيط في هذه القصة. يقول الله في القرآن أنّ آدم لم يخنه بل نسي العهد الذي عاهد الله عليه و أنّه حسن بالذنب أيضا فتاب لكي يهتدي من جديد و لذلك أصبح أوّل رسول. الله لم يعاقب آدم و حواء و البشرية كلّها بالمعاناة من أجل ضعفهم بل سّامهم خلفاء الأرض، يعني أنّهم مسؤولين عن المحافظة على النظام الطبيعيّ في الكون. هكذا أسس الطريق للزّوجع إلى الأصل و إلى الفطرة. فالخير هو الزّوجع إلى التّواضع و التّوازن و المحافظة على الجمال بينما الشرّ هو العنجهيّة و الفوضى و تدمير الجمال. الخير هو الرّجوع إلى الوحدة و الشرّ هو السّير إلى التّفترّق. عاودي فهم ذلك و بيّنه بطريقة بسيطة جدًا عندما قال: "الكتاب الذي يجب أن يكون دائما مفتوحا هو كتاب الطبيعة".

في صباح أحد الأيام رأيت في حقول خزاعة زوجان مع ابنتهما. كانوا يحصدون الفمح مع أجدادهم و إخوانهم. كانوا قاعدين على ركبهم يحصدون بالمنجل و بأيديهم. من فوق رؤوسهم الطائرات الحربية كانت تزتر و بضع مئات الأمتار عنهم كان يختنى القناصة وراء التلّ و يصوبون عليهم. لكنّ العائلة كانت ميتسمة و كنت أحسن بسلام و سعادة و قوّة بمجرد النظر إليهم. ما هو السرّ في ظوئهم و الذي لا نعرفه؟

في فنزويلا قرأت أنّ سيمون بوليفار، قائد الإستقلال اللاتيني، قال: "شعب جاهل يشكّل أداة عمياء لتدمير نفسه" و زاد على ذلك أنّه لا يكفي بالتعليم الأكاديمي، بل يحتاج أخلاق و أوضاع. ربّما العالم العربيّ و فلسطين غارقون في أسوأ لحظة في تاريخهم. هم منقسمون و محتّلون و أدخل عليهم الفقر و الفساد و التّلاعب. هم أسرى كلّ أنواع الديكتاتوريات و الخدع و الرّسل الكذابين. لكن من بين كلّ هذا الظلام هناك نور صغير يسطع بتواضع و بعض الأحيان لا نراه و لا يتربونا نراه. ما يعرفه القليل هو أنّ المجتمع الفلسطينيّ استطاع أن يكون أحد أكثر المجتمعات المثقفة و المؤدّبة من العالم العربيّ رغم عشرات السنين من الحروب و التّمار. حسب معلومات البنك العالمي، نسبة التعلّم بين الشباب الفلسطينيّ تبلغ 98%. معظم هؤلاء الشباب يقولون أنّ أولويّتهم هي التعليم ففي غزّة يوجد 10 جامعات لهذا الأساس. هذه معلومات مذهلة إذا نظرنا إلى الصّعوبات الهائلة التي يتعرّض لها الطلاب و الأساتذة لأنّهم محاصرين و محجوزين و محتّلين و يعيشون تحت القصف.

لكنّ أوضاع التعليم لا تعني شيئا دون الأخلاق و في هذه الجزئية فلسطين تسطع بكلّ قوّة في عالم غارق في الظلام. تعليم العقل و المنطق شيء أساسيّ للإنسان لكنّ تعليم القلب و الإيمان و الأخلاق هو ما يعطي للإنسان معنى و طريق في الحياة.

يوم كباقي الأيام ذهبت أنا و باليريا فنزويليّة إلى سوق الأندلس لشترتي الطّعام للشّاطئين الذين يسكنون في بيتنا. اشترينا زعتر و زيت الرّيتون و تمرّ و زيتون و لبن و فاكهة و خضروات و بيض و كعك و كمّية كثيرة من القهوة. طلبنا سيّارة أجرة لأنّنا كنّا اثنين فقط محظّلين بعشرين كيسا. عند وصول السيّارة بدأنا ننقل الأعباء.

مرّ من هناك مجموعة فطلات في الـ10 أو الـ12 من عمرهنّ بأزياء و حقائب المدرسة و بدون أي كلمة بدأن يحملن الأكياس و وضعنهنّ في السيّارة. بعدها و بدون توديعة أكملن طريقهنّ إلى بيوتهنّ حيث ينتظرهنّ العشاء. عندما رجعت إلى البيت قلت في نفسي أنّ أولادي يجب أن يكونوا هكذا.

## THE POEMS

أمنيّاتي يجب أن تتحقّق بأشْرعة و رياح  
بطرق معوّجة فوق البحار  
أرى أنّ الرّيح الشّماليّ و الغربيّ يتسلّحان ضدّي  
الرّيح الشّلوق و السّروق يجب أن يساعداوني  
مع أصدقائهم الرّيح الجنوبيّ و الشّماليّ  
و بطلب متواضع لرياح الجبال  
أن يكونوا منصفين في نفعهم  
و أنّ الخمسة يحقّقون لي الرّجعة

أوسياس مارتش

(14)



السفن البطينة تضيق في بحار خطرها مجهول

سالبادور ايسبريو

(20)



سأعود دائما  
لشطننا  
الأمواج لا تتركني  
أماه  
أبتعد كثيرا

ماريا ديل مار بونيت

(22)



إنّ في خلق السماوات و الأرض و اختلاف اللّيل و النهار لآيات لأولي الألباب

القرآن الكريم، سورة آل عمران آية 190

(28)



## THE POEMS

ساعة الشمس في السجن  
غيم يقد سر يا من الكائنات  
هتافات شعب لمن يصعدون إلى حتفهم باسمين  
وخوف الطغاة من الأغنيات

على هذه الأرض ما يستحق الحياة

**محمود درويش**

(40)



نار بين يديّ اليوم  
تعن غيوم عالية  
خريف ممطر  
و الحياة تصبح غريبة  
بين هذا الهدوء الكاذب  
الحياة تحرق  
خاضعة لدورة تدور  
حديدية مغروزة بالداخل  
كالسكين الذي  
يزيد في عمق الجرح  
الدّماء الدافئة تتدفّق  
حركة تدفّقها  
كالبنول الذي يعود  
دائما لأصله  
هنا نمشي في دائرة  
اللا وعي الحيّ جدا  
و نحن السنين خفيفة  
ثقيل على الموت  
لكنّه ليس موتي

**موتسيرات أبيبو**

(46)



لم أحمل يوما بندقيّة على كتفي  
ولم أسحب زناد سلاح  
كلّ ما أملكه شجن ناي  
وفرشاة لألون أحلامي  
وزجاجة حب  
هو إيمان لا يتزحزح  
و حبّ لا نهاية له  
لشعبي الذي يعاني

**توفيق زياد**

(48)

## THE POEMS

أبي، سيّد السّماء و الأرض  
أنا أثني عليك لأنك لم تعطي هذه الأشياء  
للأذكىاء و العالمين و بيّتها للبسطاء

الإنجيل وفقا للقدّيس متى

(54)



قال الله تعالى: "أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي"

حديث قدسي ورد في كتاب بداية الهداية للإمام الغزالي

(58)



اه من وطن الأولين كم ابتعدنا عنه  
اه من وطن الآن أذكره بدموع حمراء  
أن تكون وطنك في الصّغر يوجب عليك أن تحبّه للأبد؟

هو الوطن الذي أحبّ، الذي أمامه أصبح متواضعا  
لم أهره أبدا، لم أهره أبدا  
أجبروني على الرّحيل

الرّصافي

(62)



أنا كنت أسألك بفارغ الصبر  
قل لي، متى سنذهب إلى القدس؟  
قل لي، متى سنذهب؟  
عندما الأسلاك النحاسية تكسر و الخطّ يصبح أخضرا  
حينئذ سنذهب  
عندما يصبح الحفيف مستمرا من غرة إلى الخليل  
حينئذ سنذهب  
عندما لم يعد يكتب اسمي بالبحر الأحمر  
حينئذ سنذهب  
إذا، لن نذهب أبدا؟  
إذا بقي تفكيرك هكذا  
لا، لن نذهب أبدا

إيسابيل بيريث

(120)

## THE POEMS

الصبر هو الإنتظار مع العمل و الإصرار ليس الإنتظار دون التحرك حتى لو الحل بعيدا. إنتظار الأشياء تحصل دون أن نفعل كل ما بوسعنا هو هراء، كما تقول القديسة تريسا

أنتوني غاودي

(76)



منبع كل مصائب الإنسان ليس الموت،  
بل الخوف من الموت

أبكتيوس

(80)



إذا تنشرون الموت تعطون معنى أكبر للحياة  
نحن هنا بأيدينا العارية  
الموت يمنع عنك كل شيء  
و أنا مع كل موتة يخرج لي أشقاء جدد

ماكس أوب

(102)



بإمكانهم أن يقتلوك  
أو بإمكانهم أن يضحكوا عنك أو أن يكشفوك  
كل هذه تفاهات  
الوعي هو ما له ثمن  
إنك لن تكون شيئا إذا لم تكن شعبا  
و أنت للأسف قد اخترت  
بعد سكوتك الصّارم  
تمشي بقناعة  
المثال الذي ينفع هو غالي  
و يجب أن تكون مثالي في كل شيء  
مثالي في كل الأوقات  
يجب أن تنسى نفسك  
عليك أن تصبح كل واحد من شعبك  
و تجعل حزنهم حزنك  
و غضبهم غضبك  
و هكذا ستصبح تماما  
في عين الله و في أعين الناس  
و ستصبح شعبا للأبد

بيسينت أندريس استيبينيس

(138)

## THE POEMS

أردت أن أحكي لك  
قصة عنديب قد مات  
أردت أن أحكي لك  
القصة  
لولا أنهم قصّوا شفتاي

سميح القاسم

(118)



أرض  
قديمة  
من البوتقة  
و الحزن  
أرض  
من الموت بدون العيين  
و السهام

فيدريكو غارثيا لوركا

(134)



الأحياء يريدون الموت في وطنهم  
لا يوجد أبواب مفتوحة  
و لا بحار مفتوحة  
و لا أيدي مفتوحة  
ملنى بالقلوب  
كلّ يوم إيمان فوق الخوف  
كلّ يوم مرآة من النار  
معجزة كبيرة  
الأحياء يموتون و الأموات يحيون  
مهرجان من الأضواء  
قطاع من الأرض مولعة  
البحر أصبح مرآة من النيران  
و رصاص مصبوب على الأطفال  
رؤوسهم تدور  
في الشوارع بعد نزعها من أكتافهم

سهير حماد

(114)

## THE POEMS

أنا من أطرق بابك  
على كلِّ الأيواب، على كلِّ الأيواب  
لكنكم لن تستطيعوا رؤيتي  
طفل ميت لا يرى

تحولت إلى حفنة رماد  
تتأثرت بفعل الرياح

**ناظم حكمت**

(146)



الجمال هو بهاء الحقيقة

**بلاتون**

(150)



ورثت الأمل من أجدادي  
و الصبر من آباي  
و من كلاهما القلب  
الذي أستخدمه الآن  
للتكلم معكم

**ميكيل مارتي إي بول**

(170)



بحر من الأحزان تزرع في أمعائنا  
كلِّ القلوب البائسة تحرق بنيران أبدية

**ابن اميرة**

(174)



الكبار يموتون و الصغار ينسون

**داوود بن غريون**

(176)

## THE POEMS

صورتك في عيني  
و اسمك في فمي

تعيش في قلبي  
لكن أين تختبي؟

ابن عربي  
في الصّحة المسترجعة  
في الخطر المختفي  
في الإنتظار دون ذاكرة  
أكتب اسمك

و بقدره الكلمة  
حياتي تبدأ من جديد  
ولدت فقط لأتعرّف عليك  
لألفظ اسمك

حرية

باول إيدوارد  
(142)



فاصبر

القرآن الكريم، سورة غافر 55  
(152)



أكثر من مجرد موجات لبحر يجاورنا  
نغني لك المستقبل، اسمك الشجاعة  
اسمك فلسطين

ينتزعون أشجارك من حقولك البنية  
كأنهم يستطيعون قلع جذورك في الغد  
يدفنون أطفالك و الإبتسامة في وجوههم  
و يريدون أن تصبح أرضك بورا

سيكبر الزيتون و يبقى آلاف السنين  
لكي تغني الطيور اسمك، الشجاعة  
اسمك فلسطين

يوييس ياك  
(124)

## THE POEMS

لن أت إليك  
بل عد أنت لنا

عد يا صديقي  
فكلنا ننتظرك

غسان كنفاني  
(200)



و إذا وجدتها فقيرة  
لا يعني أن إيتاكا خدعتك  
أصبحت حكيمًا  
فستعلم ما يعني الإيتاكا

كابايفيس  
(200)



لن يتبقى شيء سوا البحر  
موجة تتحدى تلو الأخرى

سماح سباعوي  
(204)

---

## ليست غزة أجمل المدن (213)

وليست أرقى المدن وليست أكبر المدن. ولكنها تعادل تاريخ أمة. لأنها أشد قبحاً في عيون الأعداء، وقرراً ويوساً وشراسة. لأنها أشدنا قدرة على تعكير مزاج العدو وراحته، لأنها كابوسه، لأنها برتقال ملغوم، وأطفال بلا طفولة وشيوخ بلا شيخوخة، ونساء بلا رغبات، لأنها كذلك فهي أجملنا وأصفانا وأغنانا وأكثرنا جدارة بالحب.

نظلمها حين نبحث عن أشعارها فلا نشوهم جمال غزة، أجمل ما فيها انها خالية من الشعر، في وقت حاولنا أن ننتصر فيه على العدو بالقصائد فصدقنا أنفسنا وابتهجنا حين رأينا العدو يتركنا نغني .. وتركناه ينتصر ثم جفنا القصائد عن شفاها، فرأينا العدو وقد أتم بناء المدن والحصون والشوارع. ونظم غزة حين نحولها إلى أسطورة لأننا سنكرها حين نكتشف أنها ليست أكثر من مدينة فقيرة صغيرة تقاوم.

محمود درويش

## شكر

(214)

أريد أن أشكر كل الذي بدون وجودهم لما نشأ هذا الكتاب و لا ربّما شيء من ما أعمل.

أشكر ابوي اللذان زرعا البذرة التي ما زالت تكبر

و أشكر باسل الأتوني، فنان من جباليا رافقي في طرق و أحلام قطاع غزة. و الشهداء العشرة من المابي ممرمة الذي عمّونا ثمن الحياة و الدفاع عن الحقّ و الجمال. و مابي دولس لأنّ هذا الكتاب كتب في بيتها. و الـ2.100 شهيد في الحرب الأخيرة على قطاع غزة و خاصة لأرواح الـ500 طفل و طفلة. و الموائن و كالدونة (جبال في بالنسيا) و لورتا (حقول بالنسيا) و فايش باري. و الأرض، كتاب يجب أن يقرأ دائما لأنّه يصلنا مع السماء مع أنفسنا.

أشكر في مدينتي:

تشابي ساريا و ميكيل راموس من سرت معهم سنين عديدة و شاركت معهم في مشاريع كثيرة و شكّلوا دعم و دفع لعمل أول فيلم وثائقي لي عام 2005 و أول كتاب لي عام 2014. أنتونيو راموس و ماريلا دولس، أشكرهم لأنّ بسببهم ولد هذا الكتاب. جوان كارليس خيريريس من شركة Sembra Libres على شجاعته لدعم مشروع كتاب مستقلّ كهذا في أوقات صعبة كهذه. بيست تشانزا الذي رافقني منذ عشرين عاما في مغامرات من بالنسيا إلى كراكاس. تشابي جينيس زميل قديم و أبّ و صانع مثابر. تامر و جلال حمدان فلسطينيان بلنسيان من بالنسيا و من غزة. جوان كانتاريرو الذي حقّق المستحيل. داني و ماريان و لورينا و روبين. الأراب. غالة. مارية فريشاس. كيكى نابارو و بيست مارتى و المزارعين الذين يزرعون و يحثون أرضنا. مارك و ألبا. لايا. بيناروز و فريديس (قرى في بالنسيا). الصحفيون الذين يواجهون الخوف و الرّاحة. لاورا أراو و لوكاس ماركو و جوردي سالبيا و سيرجي بينارتش و بيل تابايا و باكو ثيرداد و خورخي راموس و خيرمان كاباييرو و أنتونيو بيدال و روجير بالاه و سيرجي بيكاتو و إغناثيو نافرا و بيست بارتال و جوسيب بينارتش و سامويل دومينغو و أليبرت موتون لأنهم نقلوا قصص شعبنا. غييم أغويوه و عائلته. الموالى في أيامنا الحاليّة. شعبنا الذي تعرّض للإهانة و سوء المعاملة و رغم ما يريدون أن نصقّ هو شعب ذو جذور قديمة جدًا و ذو شجاعة و ذو عجاب سريّة.

أشكر في فنزويلا:

بيبيانا التي رافقتني إلى فلسطين أثناء الأيام المظلمة في الحبس و الأيام المشرقة في كراكاس. جورجى الباسك البلنسيانيّ الفنزويلي. بانيسا و أوسكر و أليخاندرو و ثابرون و تريستان و جوهانة و يان الذي تعلّمت معهم أقصّ القصص. تيسا. عائلة غالباتو. سكان حيّ غوراتارو و خوان 23 من يناير. الغوارايرا ريبانو الذي كان ملجأ و جنة. السكّان الأصليين في بيربخا و الأمازون. العاملين في التلفزيون و الصحفيين الوثائقيين و الصحفيين مع من تعلّمت و جاهدت بجانبهم. غوستابو بورجيس و كارن مينديث و ليليان بالسير و أنخيل بالاثوس و ساودي و الإخوة يفريس. أندريس إيثارا و يوري بيمنتيل و ويليام كاستييو و إيرنيستو بيبيغاس و ماوريتيو رودريغث و أنييل لوبيث الذي فتحوا الأبواب للناس ليستطيعوا أن ينطقوا بما أسكتتهم القوة المسيطرة منذ 5 قرون. مايسالون و أنييل لأنهم ساعدوني في التعرّف على اللّغة العربيّة و الإسلام. هوغو تشابيث لمنح الحياة و جعل الأحلام تتحقّق.

أشكر في فلسطين:

مانو بينيدا الذي جعلنا نكسر الحصار على غزة و الذي سهّل لي آلة تصوير لكي ينشأ هذا الكتاب. باليريا كورتيس الفنزويليّة التي عاشت مع الأندلس تحت القصف و مع النّاس دون خوف. مصعب بشير و إيسابيل بيريث صحفيّون و أشخاص محترمون، أتمنى حضور زواجهم الرابع و ثمره من بعد. علاء العلول صحفيّ وثائقيّ لا يستغنى عنه. إبراهيم لفتح الكنيسة و تاريخ غزة القديم لي. وسام عابد الخطّاط لأمانته و لفنه المبارك مع الأقاليم. أبو أمير و كفاح و فادي و روى و أنس و إسماء و خالد و محمد و سليم و كريستيان و تشيمو و فيزان و إيبان و أريادنا و دالية و ميغيل أنخيل. أبو حسن. القطط التي ماتت و التي لم تزل على قيد الحياة. كلّ الأباء و الأمهات الذين يحثون أبنائهم بلا حدود. لمن أنقذ حياة النّاس. لمن دافع عن حياة البشر. حياة من مخيم عائدة. الحمير الوحشيّة.

أشكر في العالم:

أليخاندرو بيدريغال. أندريس غيخازو و عبد الثور لأنهم أوضحوا لي عالم الرّموز. داوود و عبد الصّمّد و أحمد من قرية دون فادريكي. عبد المؤمن آية و عبد الثور برادو لأنهم شرحوا لنا الرّوحانيّة من المصدر. فيليكس رودريغو مورا و برادو إيسيتيان لأنهم بيّنوا لنا التقاليد و القويّة و حاجة إعادة تكوين البشر.

في النّهية أعتذر من المزارعين و الصّيّادين و الشعراء و الصحفيين و علماء الأنتروبولوجيا و علماء الدين و الفلاسفة و الكتاب و المؤرّخين و المترجمون و المصوّرّون لأنني سلكت طرقهم ببلاء. و أعتذر بشدّة أكثر من كلّ الأقرباء و الأصدقاء و الرّملاء و المقرّبين من أجل كلّ الأخطاء الذي ارتكبتها في الطريق.

شكرا.





